يتنافى مع التدبير والإختيار ... فهذه الدرجة من درجات المتوكلين لا يترك التدبير والإختيار ، ومن ثم كان فيها منازعة فى العلم من حيث التدبير والإختيار ، وهى أولى درجات المتوكلين .

الثانية : هى التى يكون حال المتوكل فيها بالنسبة لمقام الله – عز وجل – كالطفل بالنسبة لأمه ، بحيث لا يعرف أحدا إلا أمه ، ولا يفزع إلى احد غير أمه ، ولا يطمئن إلى أحد غيرها ، وهذه الدرجة من درجات المتوكلين أعلى من الأولى إذ فيها ترك منازعة العلم – فى التدبير والإختيار – فالمتوكل حينئذ اختار الله مدبرا ، مختارا له ، حيث نفى العلم بذلك عن نفسه ، وفى ذلك يقول الله – تعالى – : ﴿ ... وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (١) ، وهذه درجة أهل التشريع الكمل ، الذين فهموا عن الله – عز وجل – ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، فأراحوا أنفسهم من التدبير والإختيار ، واكتفوا بتدبير المتكل عليه ، وقلة النظر معه .

الثالثة : هى التى تعد أعلى درجات التوكل ، وهى عبارة عن أن المتوكل يكون فى مقابل الوكيل كالميت بين يدى الغسال ... إنه إذن منطرح على حسن الثقة بالله ، راجع فى جميع أموره إلى الله، ليس فى باطنه ولا ظاهره ربانية لغير الله ، فهو غير مرتاب فى الأمور قبل جريانها ، ولا متبرم منها فى حال جرياتها ، إذ قال الله تعالى فى قصة إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلاَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢) ، فحفظه فيها منها، فكيف لا يحفظ المسلم فى البلاء من وقوع مس البلاء ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة : من الآية ٢١٦ .

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٦٩ .

(٣) سورة الزمر من الآية : ٣٦ .

وها هو سيدنا عمر – رضى الله عنه – يقول : " ما أبالى على أى حال أصبحت ، على ما أحب أو على ما أكره ، لأنى لا أدرى الخير فيما أحب أو أكره " (١).

وقال سهل بن عبد الله التسترى : المتوكل إذا رأى السبب فهو مدع، وقال : ليس مع الإيمان أسباب ، إنما الأسباب فى الإسلام ، ومعناه : ليس فى حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها ، إنما رؤيتها والطمع فى الخلق يوجد فى مقام الإسلام " (٢).

يقول أبو طالب المكى :

" حال المتوكل سكون القلب عن الإستشراف إلى العبيد والتطلع ، وقطع الهم عن الفكرة فيما بأيديهم من التطمع ، عاكف القلب على المقلب المدبر ، مشغول الفكر بقدرة المصرف المقدر ، لا يحمله عدم الأسباب على ما حظره العلم عليه وذمه ، ولا يمنعه أن يقول الحق وان يعمل به ، وأن يوالى فى الله ويعادى فيه جريان الأسباب على أيدى الخلق، فيترك الحق حياء منهم ، أو طمعا فيهم ، أو خشية قطع المنافع المعتادة، ولا تدخله نوازل الحاجات ،وطوارق الفاقات فى الإنحطاط فى أهواء الناس، والميل إلى الباطل ، أو الصمت عن حق لزمه ، أو يوالى فى الله عدوا ، أو يعادى وليا ... لا يسكن إلى عادة من خلق ، ولا يثق بمعتاد من مخلوق ، إذ أيقن برزقه ونفعه وضره من واحد ... " (٣).

ثم يستطرد قائلا :

" وقد كان الأقوياء إذا دخل عليهم شئ من هذه الأهواء المفسدة، قطعوا تلك الأسباب ، وحسموا أصولها ، واعتقدوا تركها .. كل ذلك رعاية لصحة توكلهم ، ووفاء بحسن عهدهم ، وعملا بأحكام حالهم ،

(١) أخذ ب المسالك المحمودية : السبكى ١/٣٦٠ .
(٢) قوت القلوب : لأبى طالب المكى ٢/ ٨ .
(٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .

لئلا تسكن قلوبهم لغير الله ، ولا تقف هممهم مع سوى الله ، ولا تطمئن نفوسهم إلى غيره ، ولايتخذوا سكنا سواه "(١) .

والمتوكل على الله – تعالى – قد علم بيقين قلبه وسكونه إلى الله تعالى ، ان كل ما يناله من العطاء ، إنما هو من الله – عز وجل – وأن رزقه آتيه لا محالة على أى وجه كان ، وأن ماله لا يكون لغيره أبداً ، وكذلك ما لغيره لا يكون له أبداً ... ذلك لأن الرزق يطلب العبد كما أن أجله يطلبه ، ولن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ... هذا هو يقينه بالله – عز وجل – .

وإذا كان سبيل الفاهم اتخاذ الأسباب ، فإن الأسباب بيد الله – عز وجل – تعمل عملها ، وإلا فلا ، فالعبد وأسبابه متعلق بالله عز وجل ، وفى قصة مريم ما يدل على ذلك صراحة ، فها هو رزقها ياتيها بلا سبب معهود للناس ، وإن كان السبب هو طاعة الله تعالى ، والتفرغ لعبادته ، وهو بعيد غير معلوم لدى أكثر الناس ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢) .

وحينما حملت مريم بعيسى – عليهما السلام – ودار بخاطرها فعل البشر ، وما سيقال فيها ، وهى تعلم طهارتها ، وأنها سبب فقط للذى بها، ردها الله – عز وجل – لسبب ليس فى استطاعتها أن يعمل عمله ، وقد صور الله – عز وجل – هذا المشهد فقال سبحانه : ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا

(١) المصدر السابق : نفس الصفحة .
(٢) سورة آل عمران الآية: ٣٧ .

مَنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (١).

فالنخلة لا يمكن هزها من جذعها ، لكن الله امرها أن تفعل فعل من يقوم بالهز ، وتنظر بعد ذلك إلى فعل الله – عز وجل – حينما يساقط الرطب ، فتطمئن ويقر عينها ...

وهنا نستطيع أن نقول إن التكسب لا ينافى عقيدة المتوكل ، ولا يقدح فى مقامه ، ولا ينقص من حاله ، إذ العبد لا يخرج عن الامر الإلهى، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٣) ، وفى الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : " لأن ياخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس " (٤)

فالتكسب خير من التشرف إلى الخلق ... إذ العبد عند الأمر الإلهى كائن لا يخرج عن الاسباب بلا اعتماد عليها ، ولا افتتان بها ، وعند فقد الأسباب ، فإن الله – عز وجل – قد تولى أمره ، ولم لا !! وقد تولاه وهو فى بطن أمه بلا حول منه ولا قوة ، وبعد أن خرج حيث أجرى له لبنا خالصا سائغا ، فمن فعل ذلك لا يعجز عن سوق رزق العبد وهو فى مكانه لا يبرحه ، إذا فقد الاسباب ....

---

(١) سورة مريم الآيات : ٢٣ – ٢٦ .

(٢) سورة النبا آية رقم : ١١ .

(٣) سورة الأعراف من الآية : ١٠ .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، والنسائى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – (الجامع الصغير : السيوطى ١٣٢/٢ وصححه) .

٣ – الرضا :

جاء في الصحاح : " الرضا مصدر رَضِيتُ ، يقال : رَضيت عنه ، ورَضيت به ، ورَضيت عليه ، بمعنى فهو مَرْضِي ، وقد قيل : مرضو به على الأصل ، وأرْضيته عني ، ورضيته بالتشديد إذا عملت في إرضائه بجهد ، واسترضيته فارضاني ، إذا طلبت منه الرضا فوافقني ، وعلى هذه الأوجه كلها يكون الرضا الموافقة والقبول للأمر بسهولة من غير تكلف ... إنه الطاعة والحب " (١).

قال ابو القاسم القشيري – رضي الله عنه – اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا ، هل هو من الأحوال ، أم من المقامات ؟ فاهل خراسان قالوا : الرضا من جملة المقامات ، وهو نهاية التوكل ، ومعناه يئول إلى ان يتوصل إليه العبد باكتسابه . اما العراقيون فإنهم قالوا : الرضا من جملة الأحوال ، وليس ذلك كسبا للعبد ، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال . قال : ويمكن الجمع بين اللسانين ، فيقال : بداية الرضا مكتسبة للعبد وهو من المقامات، ونهاية من جملة الأحوال ، وليست بمكتسبة .

هذا ولقد تكلم الناس في الرضا ، فكل عبر عن حاله وشربه، فهُم في العبارة عنه مختلفون ، كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون . فأما شرط العلم ، فالذي لابد منه فالراضي بالله هو الذي لا يعترض على تقديره . ومن ثم فالرضا باب الله الأعظم ، وهو من أعلى مقامات اليقين لدى المقربين ، قال تعالى :

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾(٢) ، وقال عز وجل : ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (٣) ، فمن أحسن الرضا عن الله – عز وجل –

---

(١) المعجم الوسيط ١/ ٣٦٤ مادة (رضاه).

(٢) سورة البينة من الآية ٨ .

(٣) سورة الرحمن الآية: ٦٠ .

جازاه الله بالرضا عنه ، فقابل الرضا بالرضا ، وهذا غاية الجزاء ونهاية العطاء ، ولقد رفع الله – عز وجل – الرضا على جنات عدن ، وهى من أعلى الجنات ، كما فضل الذكر فى النهى عن الفحشاء على الصلاة ، فقال سبحانه : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١) ، وقال جل شأنه : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٢) فالراضون عن الله – عز وجل– هم الذاكرون الله بما يحب ويرضى ، والراضون الأكبر جزاء أهل الذكر الأكبر ، وفى الحديث : " ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا والإسلام دينا وبمحمد رسولا " (٣).

والرضا سكون القلب إلى أحكام الله – عز وجل – وموافقة القلب بما رضى الله – سبحانه – واختاره لعبده ، وهو يعنى الخروج عن رضا النفس ، بالدخول فى رضا الله – عز وجل – ويكون بالتسليم لأحكامه الأزلية ، " وقد كتب عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – إلى أبى موسى الأشعرى – رضى الله عنه – : أما بعد : فإن الخير كله فى الرضا ، فإن استطعت أن ترضى ، وإلا فاصبر " (٤).

وقال أبو على الدقاق – رضى الله عنه – : "ليس الرضا أن تحس بالبلاء ، إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء " (٥) .

---

(١) سورة التوبة الآية: ٧٢ .

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٥ .

(٣) رواه أحمد فى مسنده ، ومسلم ، والترمذى عن العباس بن عبد المطلب (الجامع الصغير : السيوطى ٢/١٨ وصححه) .

(٤) نشر المحاسن الغالية : اليافعى / ١٧٩ .

(٥) المصدر السابق : نفس الصفحة .

وما ألطف ما قيل :

تبارك من أجرى الأمور بحكمة

كما شاء لا ظلما أراد ولا هضما

فما كان شئ غيرما الله شاءه

فإن شئت طب نفسا وإن شئت مت كظما

وقال بعض الحكماء فى قوله تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ (١) : تقطع يده لمعنيين ، أحدهما لهتك حرمة المسلمين ، وثانيهما : لأنه لم يرض بما قسم الله له ، ومال إلى مال غيره ، فأمر الله أن تقطع يده نكالا بما كسب ليكون عبرة لغيره ، لكى يرضى بما قسم الله تعالى له ، لا للمال ، إذ القدر الذى قالوا تقطع يده فيه ليس يقاوم اليد"(٢).

قال الواسطى – رحمه الله تعالى – : استعمل الرضا جهدك ، بأن تجعل همتك بعد الرضا بما نزل بك من البلاء متعلقا بالرضا بذلك، ولا تدع الرضا يستعملك بحسن لذته ، وشرف منزلته بحيث تسكن نفسك لما نلته من شريف الحال والمقال ، وتشتغل به عن التطلع لما بعده من المقامات ، فتكون محجوبا بلذته ورؤيته ، عن حقيقة ما تطالع بما يتفضل الله به عليك " .

يقول الإمام القشيرى فى هذه الوصية الغالية :

اعلم أن هذا الكلام الذى قاله (الواسطى) شئ عظيم ، وفيه تنبيه على مقطعٍ للقوم خَفِيَّة تقطعهم عن بلوغ مرادهم من الحق تعالى ، فإن السكون عندهم إلى الأحوال حجاب عن تحوُّل الأحوال ، فإذا

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٣٨ .

(٢) أعذب المسالك المعودية : محمود محمد خطاب السبكى ١/ ٢٧٣ .

استلذ رضاه ، ووجد بقلبه راحة الرضا . حجب بحاله الذى سكن إليه عن شهود حقه (أى ربه تعالى) ، او حقه الذى فوق حاله " (١) .

ثم يقول الواسطى أيضا : " إياكم واستحلاء الساعات (أى التلذذ بنوع منها والوقوف معه) فإنه سم قاتل (٢) .

وقال الإمام الشعرانى : " أخذ علينا العهود أن نرضى عن ربنا إذا قلّل علينا الدنيا ، كما نرضى عنه إذا وسعها علينا لكن مع مراعات الخوف فى حالة السعة ، وذلك لان تقليل الدنيا علينا مائل إلى الاعتناء وتكثيرها مائل إلى الإستدراج " (٣) .

فالمدبر مع الله – تعالى – يبنى مبانى التدبير ، وتهدمها واردات المقادير ... والمدبر مع الله – تعالى – لنفسه إنما دبر لأنه فى ليل القطيعة، فلم يشهد قرب الله منه ، فلو طلع قمر التوحيد وشمس المعرفة فى قلبه، لرأى قرب الحق تعالى منه ، فاستحى أن يدبر معه، واغتنى بتدبير الله تعالى له عن تدبيره لنفسه . فمن اكتفى بفعله ، ودبر لنفسه ، ورضى بتدبيره ،واحتال على وجوده ، فعقوبته أن يحال عليه ، وأن يمنع واردات المنن أن تصل .

والحاصل من هذا :

أن مقام الرضا من المقامات السامية للسالكين المقربين إلى الله تعالى ، وهو مقام مرتب على مقام التوكل والذى يقتضى بطبيعته أن يكون السالك معتقدا بعقيدة التوحيد الخالص .. موقنا بأن الله قاهر قادر على كل الأشياء ، عالم بحاجة كل الموجودات، ومن ثم فلا يخاف من أى شئ سواه ، كما لم يرغب فى أى شئ غيره ....

---

(١) المصدر السابق ٣٧٥/١ .
(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .
(٣) المصدر السابق ٣٧٦/١ .

وهتى ما حقق السالك هاتين المقدمتين – أى التوحيد والتوكل – بلغ مقام الرضا لا محالة ، ورضى بما يصيبه من الله بالضرورة .... ويكفيه فضلا وشرفا رضا المولى عز وجل ، فعن أبى سعيد – رضى الله عنه – أن رسول الله (ﷺ) قال : " إن الله تعالى يقول لأهل الجنة ، يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك ، فيقول : هل رضيتم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ، فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون : يا رب وأى شئ أفضل من ذلك ، فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا"(١).

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال : " خدمت رسول الله (ﷺ) عشر سنين ، فما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ؟ ولا لشئ لم أفعله لم لم تفعله ، ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ، ولا فى شئ لم يكن ليته كان، وكان إذا خاصمنى مخاصم من أهله يقول : " دعوه لو قُضِىَ شئٌ لكان " (٢).

ويروى أن الله – تعالى – اوحى إلى داود – عليه السلام – ياداود إنك تريد وأريد ، وإنما يكون ما أريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد .

لذا كانت أحوال الصحابة ومحوهم من الاكابر فى غاية التسليم .

وفى الأخبار السالفة أن نبيا (٣) شكى إلى الله عز وجل الجوع والفقر ... عشر سنين ، فما أجيب إلى ما أراد ، ثم أوحى الله تعالى إليه :

---

(١) رواه البخارى ،مسلم ، واحمد ، والترمذى (الجامع الصغير : السيوطى ٧٧/١ وصححه).

(٢) أعذب المسالك المحمودية : السبكى ٣٧١/١ .

(٣) من المعلوم أن الله عز وجل لم يذكر فى القران الكريم جميع الأنبياء والرسل ، حيث قال سبحانه : (رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما) [النساء - اية رقم : ١٦٤] .

" كم تشكو ؟ هكذا كان بدؤك عندى فى أم الكتاب ، قبل أن أخلق السموات والأرض ، وهكذا سبق لك منى ، وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا ، افتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك ؟ أم تريد أن أبدل ماقدَّرْتُهُ عليك ، فيكون ما تحب فوق ما احب ، ويكون ما تريد فوق ما أريد ؟ وعزتى وجلالى لأن تلجلج هذا فى صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة " (١).

والحكمة فى حصول مثل ذلك من الأنبياء إنما هو تعليم للعباد ، وليس فى ذلك ما يشين الأنبياء ، وإلا فما الحكمة من ابتلاء الأنبياء ، الذين كشف الله عنهم ما هم فيه ، والذين لم يكشف الله عنهم ، وقد بين ذلك القرآن الكريم فقال سبحانه : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ * وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ.. ﴾ (٢) ، ويقول سبحانه : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ

(١) أعد المسالك المحمودية : السبكى ١/٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٢) سورة الأنبياء الآيات : ٨٣ – ٩٠ .

عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ (١).

وها هو نوح – عليه السلام – يدعو ربه قائلا : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٢).

فهذا كله موافق لما قدره الله – تعالى – وقضاه أزلا ، ولابد من الرضا به ، والتسليم له سبحانه ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فعليه السخط ، وقد أكد هذا السنة النبوية الصحيحة ، فعن على كرم الله وجهه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد (٣) ، فأتانا رسول الله (ﷺ) فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة (٤) ، فنكّس فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة ، قال : فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ، فقال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، فقال : اعملوا فكل ميسر ؛ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى

---

(١) سورة التحريم الآية: ١٠ .

(٢) سورة هود من الآيتين : ٤٥، ٤٦ .

(٣) بقيع الغرقد : هو مدفن المدينة ، وهو المعروف الآن بجنة البقيع .

(٤) المخصرة : هى ما أخذه الإنسان بيده من عصا أو غيرها . (فنكس) بتخفيف الكاف وتشديدها أى خفض راسه الشريف وطأطاه إلى الأرض .

واتقى ، وصدق بالحسنى ، فنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى،وكذب الحسنى ، فسنيسره للعسرى ﴾ (١) . وعن أبى الأسود الدئلى قال : قال لى عمران بن حصين : أرايت ما يعمل الناس اليوم ، ويكدحون فيه، أشئ قُضى عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق ، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم ، وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت : بل شئ قُضى عليهم ومضى عليهم ، قال : فقال أفلا يكون ظلما !! ، قال : ففزعت من ذلك فزعا شديدا ، وقلت : كل شئ خَلْقُ الله ، ومِلْك يده ، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فقال لى : يرحمك الله إنى لم أُرد بما سألتك إلا لاحزُرَ (٢) عقلك ، إن رجلين من مزينة اتيا رسول الله (ﷺ) فقالا : يا رسول الله أرأيت ما يعملُ الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشئ قضى عليهم ومضى فيهم من قدرٍ قد سبق ، أو فيما يُستقبلونَ به مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقال : لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك فى كتاب الله – عز وجل – : " ونفس وما سواها ، فألهمها جورها وتقواها " (٣) .

يوضح هذا المفهوم الدقيق ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله (ﷺ) : " احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى ، قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك فى جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ، فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته، وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها بيانُ كل شئ ، وقربك نجيا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أُخلق ، قال موسى : بأربعين عاما ، قال آدم : فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ، قال : نعم ، قال : أفتلُومنى على أن عملْتُ عملا كتبه الله على أن أعمَلَه قبل أن يخلقنى بأربعين سنة،

(١) رواه مسلم ٨/٤٦، ٤٧ ك / القدر ، والآيات من سورة الليل : ٥ – ١٠ .
(٢) لاحزر عقلك : أى لامتحن عقلك وفهمك ومعرفتك .
(٣) رواه مسلم ٨/٤٨، ٤٩ : / القدر ، والآيات من سورة الشمس : ٧ ، ٨ .

قال رسول الله (ﷺ) فحج آدمُ موسى "(١) ، ومن ثم نرى أن الرسول (ﷺ) كان دائم الإلتجاء إلى الله – عز وجل – فعن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : إن قلوب بنى ادم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ، ثم قال رسول الله (ﷺ) : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك " (٢) .

فالقضاء حكم الله فى الأرض ، قضاه أزلا على عباده ، فلا مجال لتصور حدوث تحرك ذرة فى السموات والأرض إلا بإذنه ، والقضاء صفة جبروت للجبار الذى بيده مقاليد كل شئ ، وهو سجل مطوى لأحداث الحياة ، فإذا خرجت كان القدر الذى قدر كل شئ تقديرا ، على حساب توقيت سابق لاحق .

وفى ذلك قال الإمام الغزالى : العباد مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٣)

يقول الإمام ابن تيمية : " من لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس ، ومن أحتج به ضارع المشركين ، ومن أقر بالأمر والقدر وطعن فى عدل الله وحكمته كان شبيها بإبليس " .

---

(١) رواه مسلم ٨/٥٠ ك / القدر . وفى الحديث قوله عليه السلام : " أتلومنى على أن عملت عملا ... " ومعنى كلام آدم إنك يا موسى تعلم أن هذا كتب على ، ولو حرصت أنا والخلائق اجمعون على رده لم نقدر ، فلم تلومنى على ذلك ،ولأن اللوم على الذنب شرعى لا عقلى ، وإذا تاب الله عليه وغفر له زال عنه اللوم ، فمن لامه كان متوجوا بالشرع ... فأما من اذنب منا فيذم ويلام ويعاقب ، واللوم له زجر له ولأمثاله ، لانه حى وفى دار التكليف ... وأما ادم فميت خارج عن دار التكليف ،وقد تاب الله عليه ، فلا لوم عليه .

(٢) مسلم ٨/٥١ ك / القدر .

(٣) سورة السجدة الآية: ١٣ .

وقال ابن عربى : " سر القدر لا يطلع عليه إلا الأفراد ... وهو من أجل العلوم ، فالعلم به يعطى الراحة الكلية للعالم به ، ويعطى العذاب الأليم للعالم به أيضا " (١) .

لقد فهم السالك هذه المعانى الدقيقة ، ووقف على حقيقة وجوده ، موقنا بأن السرور لا يكون إلا فى مواقع القدر ... وأن من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء ... ذلك أنه لم يصبر على تقدير الله ومراده ، يقول الفضيل بن عياض : من استوى عنده العطاء والمنع ، فقد رضى عن الله تعالى ... ومن رضى عن الله رضى الله عنه، فهو – سبحانه – أكرم الكرماء ... وإذا كان السالك إلى الله تعالى فى غيب من أمره ، فما عليه إلا الرضا ، ليفوز بمقام المحبة الذى هو نهاية المأمول .

٤ – الحب :

جاء فى المعجم : (الحُبُّ) : الوداد . و(الحَبِيبُ) : المحبوب ، والمُحِب (ج) أحباء وأُحبه.(المحبة) : ميل إلى الشئ السار .(المُسْتَحب) : المرغوب فيه (٢) . أى ما رغب فيه الشارع ، ولم يوجبه .

(تَحبَّبَ) إليه تودد وأظهر الحب . و (استَحبَّه) : آثره . (الحِبُّ): المُحب . و –المحبوب .(ج) أحباب ، وحبان ، وحِبَبَة " (٣) .

من هذا البيان اللغوى نستطيع أن نقول :

الحب فى عرف السالكين إلى الله تعالى يعنى : " السرور بالله –تعالى– من شدة المحبة له ،والمحبة فى القلب نار تحرق كل دنس " (٤)

---

(١) النصوص فى مصطلحات التصوف : محمد غازى عرابى /٢٦٨، ٢٦٩ .

(٢) المعجم الوجيز /١٣٠ مادة (حب) .

(٣) المعجم الوسيط ١٥٧/١ مادة (حب) .

(٤) أعذب المسالك المعودية : السبكى ٣٠١/٣ ، والتعريف لأبى الحسين الوراق وهو من كبار المشايخ : ت ٣٢٠ هـ .

يقول الإمام الغزالى :

" المحبة لله هى الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو متقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر ، والزهد وغيرها ... " (١) .

ثم يقول :

" واعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله ولرسوله (ﷺ) فرض ... يدل على إثبات الحب لله تعالى قوله - عز وجل - ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ (٢)، وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (٣) لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس اجمعين (٤) ، وجاء أعرابى إلى النبى (ﷺ) فقال يا رسول الله : " متى الساعة ؟ قال : ما أعددت لها ؟ فقال : ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أنى أحب الله ورسوله ، فقال له رسول الله (ﷺ) : المرء مع أحب " (٥) .

قال أحد العارفين : ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة ، لان النبى (ﷺ) قال : " المرء مع من أحب " (٦) .

والمحبة قال فيها السالكون ما قالوا ... كل حسب مكانته ودرجته فى الحب ، إذ نرى لها من التعريفات ما يتعدد بتعدد أنفاس السالكين

---

(١) إحياء علوم الدين : الغزالى ٤/٢٨٦ .
(٢) سورة المائدة من الآية : ٥٤ .
(٣) سورة البقرة من الآية : ١٦٥ .
(٤) وفى رواية : ومن نفسه ، متفق عليه من حديث أنس ، واللفظ لمسلم .
(٥) متفق عليه من حديث أنس . وانظر : إحياء علوم الدين : الغزالى ٤/٢٨٧ .
(٦) أعذب المسالك المحمودية : السبكى ٣/٣٠٢ .

إليه... ولم لا يكون ذلك ، وهو حب الله – عز وجل – الذى لا يتناهى .. حتى قال بعضهم : " المحبة معنى يدق عن الأفكار ، ويخفى عن الأسرار ، وما جال فى فؤاد إلا تهتك وحار ، وبدا له الجلال والجمال فتلاشى ونار ، واضمحل وغى وحجب وزار ...:"(١).

وقال بعضهم : " من ادعى محبة الله من غير تورع عن محارمه فهو كذّاب ، ومن ادعى محبة الجنة من غير إنفاق ملكه فهو كذاب ، ومن ادعى حب رسول الله (ﷺ) من غير حب الفقراء فهو كذاب "(٢) .

وقال أبو عبد الله القرشى : حقيقة المحبة أن تهب لمن أحببت كلك ، ولا يبقى لك منك شئ (٣) . وقد فسرها شيخ الإسلام – فى كتاب المنازل(٤) بأنها :

" تعلق القلب بين الهمة والأنس فى البذل والمنع ، أى فى بذل النفس للمحبوب ، ومنع القلب من التعرض إلى ما سواه ،وإنما يكون ذلك بإفراد المحب لمحبوبه بالتوجه إليه ، والإعراض عما عداه، وذلك عندما ينسى أوصاف نفسه فى ذكر محاسن حبه ..."(٥) وإذا كانت المحبة حالة بين الهمة والأنس ، كما أشار إليه الشيخ – رحمه الله – لكون المحب أشد الراغبين طلبا ، صارت الهمة من جملة أوصافه إذا كان المراد بالهمة شدة طلب القلب للحق طلبا صرفا ، أى خالصا ، عن رغبة فى ثواب ، أو رهبة عن عقاب ، ولما كان الطلب بالهمة قد يكون عاريا عن الأنس ، وكان من شرط المحب أن يكون مستأنسا باستحضار محاسن محبوبه ،

(١) المصدر السابق ٢٩٩/٣ .
(٢) المصدر السابق ٣٠١/٣ .
(٣) المصدر السابق : نفس الصفحة .
(٤) منازل السائرين إلى الحق عز شأنه : لأبى اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى .
(٥) انظر : المصدر السابق / ٣٢ .

مستغرقا ، وجب أن يكون المحب موصوفا بالأنس ، لهذا صارت المحبة مكتنفة بالهمة والأنس " (١) .

مراتب الحب وعلامته :

يقول ابن عطاء الله السكندرى مراتب الحب أربع :" الحب لله ، والحب فى الله ، والحب بالله ، والحب من الله . الحب لله ابتداء والحب من الله انتهاء ، والحب فى الله وبالله واسطة بينهما .

الحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه ، وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾(٢) .

والحب فى الله أن تحب فيه من والاه ، والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه منقطعا عن نفسه وهواه ، والحب من الله هو أن يأخذك من كل شئ فلا تحب إلا إياه .

وعلامة الحب لله دوام ذكره مع الحضور ، وعلامة الحب فى الله أن تحب من لم يحسن إليك بدنيا من أهل الطاعة والخير ، وعلامة الحب بالله أن يكون باعث الحظ بنور الله مقهورا ، وعلامة الحب من الله أن يجذبك إليه فيجعل ما سواه عنك مستورا " (٣) .

---

(١) لطائف الإعلام : القاشانى ٢/٢٧٤ .

(٢) سورة التوبة من الآية : ٢٤ .

(٣) لطائف المنن : لابن عطاء الله السكندرى / ٥٧ .

يقول الشيخ ابو الحسن الشاذلى – رضى الله عنه – :

من أحب الله ، وأحب لله ، فقد عمت ولايته بالحب .

والحب فى الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ، ولا مشيئة له غير مشيئته . فإذاً من ثبتت ولايته من الله لا يكره الموت، ويعلم ذلك من قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

فإذا الولى على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه .

وقد أحب الله من لا محبوب له سواه ، وأحب له من لا يحب شيئا لهواه ، وأحب لقاءه من ذاق أنس مولاه " (٢) .

وقول الشيخ رضى الله عنه : " وقد أحب الله من لا محبوب له سواه" هذه العبارة تستدعى معرفة المحبة وما هى ؟

يقول ابن عطاء الله السكندرى :

" اعلم أن المحبة هى من أجل مقامات اليقين ، حتى اختلف أهل الله أيهما أتم : مقام المحبة أو مقام الرضا ؟

وإذ كان الذى نقول به : إن مقام الرضا أتم ، لأن المحبة ربما حكم سلطانها على المحب ، وقوى عليه وجود الشغف ، فأدّاه ذلك إلى طلب شهود مالا يليق بمقامه ، ألا ترى أن المحب يريد دوام شهود الحبيب ،

---

(١) سورة الجمعة الآية: ٦ ، والآية ميزان للمريدين ليزنوا به نفوسهم ، إذا ادعى فيهم ، أو ادعوا ولاية الله .... فجعل تمنى الموت شاهدا للولى بولايته .

(٢) لطائف المنن : ابن عطاء الله السكندرى / ٥٧ .

والراضي عن الله راضي عنه أشهده أم حجبه ؟ والمحب يحب دوام الوصلة، والراضي عن الله راضي عنه وصله أو قطعه ، إذ ليس هو مع ما يريد لنفسه ، بل إنما هو مع ما يريد الله له ، المحب طالب لدوام مراسلة الحبيب، والراضي لا طلب له ...

ثم قال رضى الله عنه :

وكنت قديما أطلب الوصل منهم
فلما أتانى العلم وارتفع الجهل
تيقنت أن العبد لا طلبا له
فإن قربوا فضل وإن بعدوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم
وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو(١)

وسئل الإمام الجنيد – رض الله عنه – عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب ، قيل : هذا على معنى قوله تعالى : (فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به)(٢) .

فالمحبة منتهى المقامات وغاياتها ، وإظهارها إظهار للخير كله من غير قصد منه إلى إظهار الحب ، ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب ، فمن عرف نفسه ، وعرف ربه ، استحيا منه حق الحياء ، وخرس لسانه عن التظاهر بالدعوى ، لكن يشهد على حبه حركاته وسكناته ، وإقدامه ، وإحجامه ... إنها جميع محاسن الدين ، ومكارم الأخلاق ثمرة الحب .

(١) المصدر السابق /٥٩ ، ٦٠ .
(٢) أعتب المسالك المحمودية : السبكى ٢٠١/٣ .

من أحوال أهل القرب

بيان وتعريف :

جاء فى المعجم : (تَحوّلَ) تنقل من موضع إلى موضع ، أو من حال إلى حال . و – عن الشئ : انصرف عنه إلى غيره . و(الحالُ) : الوقت الذى أنت فيه . وحال الشئ : صفته . وحال الإنسان : ما يختص به من أموره التغيرةالحسية والمعنوية " (١) .

والحال (فى الطبيعة) كيفية سريعة الزوال من نحو حرارة ، وبرودة ، ويبوسة ، ورطوبة عارضة . (مج) و (فى علم النفس) الهيئة النفسية أول حدوثها قبل ان ترسخ .(مج) .

(الحالة) : الحال . (الحال) : (ج) أحوال ، واحولة (٢)

من هذا البيان اللغوى نقول :

الحال عند السالكين من أهل القرب يعنى : تحول من حال إلى حال، والحال ما حل فيه الإنسان ، أو ما كان هو محلا له من احوال .

فالتعريف ذو علاقة باطوار وجدانية داخلية إشراقية ذات صلة بعلم التصوف بالذات ، والحال تقلب ، لذا كانت الاحوال درجات سلم ، عليها يرتقى السالك صعودا إلى مرحلة المقامات .

والحال عند اهل المعرفة – رضى الله عنهم - : معنى يرد على القلب من غير اجتلاب ولا اكتساب من طرب او حزن أو قبض أو بسط

---

(١) المعجم الوسيط ٢١٦/١ مادة (حول) .
(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .

أو شوق أو انزعاج أو هيبة او اهتياج ، فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، والأحوال تاتى من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود ، وصاحب المقام ممكن فى مقامه ، وصاحب الحال مربى، وفى حاله قالوا : الأحوال كاسمها ، يعنون أنها كما تحل فى القلب تزول فى الوقت، وشبهوها بالبروق ، وسمى الحال حالا لتحوله، والمقام مقاما لإقامته واستقراره ، وهو ما يتحقق العبد بمنازلته من الآداب، ويتوصل إليه بنوع تصرف ومقاساة تكلف ، فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له .

وشرطه : أن لا يرتقى من مقام حتى يستوفى أحكام ذلك المقام.

وقال بعضهم : لا يكمل له المقام الذى هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه ، فينظر من مقامه العالى إلى ما دونه ، فيحكم أمر مقامه"(١) وجملة القول :

إن العبد بالأحوال يرتقى إلى المقامات ، والأحوال مواهب ، والمقامات اكتساب ، فامتزاج الأحوال وهى مواهب بالمقامات وهى اكتساب يرتقى العبد من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام .

فالأحوال واردات إلهية ، ترد على قلوب العارفين بواسطة تنوير قلوبهم الناشئ عن دوام الجد والإجتهاد فى العبادة ، مع الإخلاص والمراقبة ، ولا كسب للعبد فيها ، وإنما هى مدارج للمطالب من رفيع المقامات ، والحال بداية ، والمقام نهاية ، والحال ما يتحول ، والمقام مالا يتبدل ، والحال له انصرام ، والمقام له الدوام .

وها هى أهم أحوال المقربين من خلال سلوكهم إلى الله – عز وجل–

(١) نشر المحاسن الغالية – اليافعى /١٨٢ .

١ - حال الشوق والأنس :

بينا - فيما سبق - أن محبة الله - عز وجل - من أعلى مقامات المقربين ، وهى الغاية القصوى للسالك .. وإذا وصل السالك مقام المحبة ، فإن باقى الأحوال تكون من توابعها وذلك كالشوق والأنس .

وحال الشوق عند السالكين يعنى التودد إلى الله - عز وجل - بجميع أنواع الطاعات ، ومحبة اللقاء بالمحبوب .

* قال يحيى بن معاذ الرازى : علامة الشوق هى أن تصون الجوارح عن الشهوات .

وكان الشبلى - رضى الله عنه - يقول : المهيبة تصهر القلوب، والمحبة تصهر الارواح ، والشوق يصهر النفوس " (١)

وقال بعضهم مفرقا بين الشوق والاشتياق : " الشوق يسكن بين اللقاء والرؤية ، والاشتياق لا يزول باللقاء ، وفى معناه انشدوا :

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته

حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

وقال ابو القاسم القشيرى - رضى الله عنه - : من الأحوال السنية فى المحبة الشوق ، ولا يكون المحب إلا مشتاقا أبدا ، لان أمر الحق تعالى لا نهاية له ، فما من حال يبلغها المحب إلا ويعلم أن وراء ذلك أوفى منها وأتم . قال : ثم هذا الشوق الجاذب عنده ليس هو كسبه ، وإنما هو موهبة خص الله بها المحبين " (٢) .

---

(١) تاريخ التصوف فى الإسلام : د / قاسم غنى / ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

(٢) نشر المحاسن الغالية : اليافعى /١٩٢ ، ١٩٣ .

وفى حال الأنس يقول سهل بن عبد الله التسترى حين سألوه عن الأنس : " الأنس هو ائتناس الأجسام بالعقل ، وائتناس العقل بالعلم ، وائتناس العلم بالعبد ، وائتناس العبد بالله " ، وسألوه أيضا: هل للعاصين أنس ؟ قال : لا . بل ولا كل من يفكر فى المعصية "(١) .

وقال الحارث المحاسبى : " علامة الأنس بالحق هى الوحشة من الخلق ، والهرب من كل ما يحيط بالخلق ، والإنفراد بحلاوة ذكر الحق تعالى ، كما يتمكن الأنس بالحق ، يزول الأنس بالمخلوقات من القلب" (٢) .

وقال ابن عطاء الله : " كل من تأدب بآداب الصالحين حصلت له صلاحية بساط الكرامة ، وكل من تأدب بآداب الصديقين حصلت له صلاحية بساط الشهادة . وكل من تأدب بآداب الأنبياء حصلت له صلاحية بساط الأنس والسرور " .

وقال أيضا : للمعرفة ثلاثة أركان : الهيبة ، والحياء ، والأنس"(٣) .

وقال شهاب الدين السهروردى – رضى الله عنه – : " وقد يكون من الأنس الأنس بطاعة الله تعالى ، وذكره وتلاوة كلامه ، وسائر أبواب القربان ، وهذا القدر من الأنس نعمة من الله ومنحة منه ، ولكن ليس هو حال الأنس الذى يكون للمحبين ، قال : والأنس حال شريف يكون عند طهارة الباطن ، وكنسه بصدق الزهد ، وكمال التقوى ، وقطع الأسباب والعلائق ، ونحو الخواطر والهواجس . قال : ومن الأنس خضوع النفس المطمئنة ، ومن الهيبة خشوعها ، والخضوع والخشوع يتقاربان ويفترقان بفرق لطيف يدرك بإيماء الروح " (٤) .

---

(١) تاريخ التصوف فى الإسلام : د / قاسم غنى / ٥٠٨ .
(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .
(٣) المصدر السابق /٥٠٩ .
(٤) نشر المحاسن الغالية : اليافعى / ١٩٦ .

ويذكر ابو محمد عبد الله بن أسعد اليافعى : من روايات أهل الأنس بالله – عز وجل – ، ما روى عن أبى سعيد الخراز – رضى الله عنه – قال: تهت فى البادية فكنت أقول :

اتيه فلا أدرى من التيه من أنا

سوى ما يقول الناس فىّ وفى جنسى

أتيه على جن البلاء وإنسها

فلما لم أجد شخصا أتيه على نفسى

قال فسمعت هاتفا يهتف بى ويقول :

أيا من يرى الأسباب أعلى وجوده

ويفرح بالتيه الدنى وبالأنسى

فلو كنت من أهل الوجود حقيقة

لغبت عن الاكوان والعرش والكرسى

وكنت بلا حال مع الله واقفا

تصان عن التذكار للجن والإنس(١)

٢ – حال الإطمئنان :

لقد ورد فى القرآن الكريم ما يدل على هذا الحال ، ومن جملة ما ورد ما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٢) ، وفى قوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ

(١) المصدر السابق / ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٢) سورة الفجر : الايتان : ٢٧ ، ٢٨ .

قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(١) ، وكذلك ما ورد في شأن أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – حينما قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ (٢) .

والإطمئنان حال شريف وهو ثمرة للإيمان الكامل ، هذا الإيمان معلوم أصله .... إنه الإيمان بالله واحد أحد ، وأن مرجع الكل إليه ، وله جميع صفات الكمال ، وهو الخالق ، وكل ما خلقه يجب أن يكون كما هو... وأن الحياة قائمة به ... وهي من دونه موات ، وأن الناس بأنفسهم موتى، وبالله – عز وجل – أحياء ، وأن نوم العبد وحركة العين وانتباهتها حركة لله وبالله ، وبدون الله – عز وجل – ما نامت ولا انتبهت ، ولَمَّا دل الله – عز وجل – خليله على كيفية التحقق بالفعل اطمأن قلبه إلى أن لا حركة ولا سكون إلا بأمر ربه – سبحانه ...

يقول أبو نصر السراج في كتابه (اللمع) :

" الإطمئنان على ثلاثة أقسام : أولها اطمئنان العامة فإنهم عندما يشتغلون بذكر الله يطمئنون إلى أن الله سوف يستجيب لدعائهم ويرزقهم ويدفع عنهم الآفات ، وهؤلاء الأشخاص لهم في هذا الحال النفس المطمئنة . أي المطمئنة على الإيمان والاعتماد .

ثانيها : اطمئنان الخواص الراضين بقضاء الله – تعالى – الصابرين على بلائه ، ولهم حال الإخلاص ، وسكون الخاطر واعتماد

---

(١) سورة الرعد الآية: ٢٨ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٦٠ .

ربط القلب بالكلام الإلهى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١) ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) ، وإنهم يرجون ذلك .

ثالثها : اطمئنان خاصة الخواص ، وهم المأخوذون بجلال الله – تعالى – وعظمته .... " (٣) .

هذا الحال من الاطمئنان لا تعبر عنه العبارة ، إذ هو وارد غيبى ، أخذ فيه السالك بجلال الله – عز وجل – وعظمته ... ومن أخذ فَسِرُّ حاله لا نقف عليه بيانا وتفصيلا ، إذ هو فى سيره متنقل من واد إلى واد...؟

٣ – حال المشاهدة :

من الثابت المعلوم أن اصطلاحات السالكين إلى الله – تعالى – ليست ثابتة كاصطلاحات العلوم الطبيعية (المادية) ، كما أن استعمالاتها ليست استعمالا واحدا ، ومن نظير ذلك التعبيرات المتنوعة ما ورد فى موضوع " حال المشاهدة " هذا الحال حينما يتعرض له السالك، تعرض له حالات يعبر عنها بالفاظ مثل : الاشراق ، والجذبة ، والوجد،والفناء ... ، وذلك كاطمئنان الخواص...، وخواص الخواص ...

وحال المشاهدة حال يحدث لقلب السالك ، ذلك أنه يرى بعين قلبه، وبنور اليقين حقائق مختفية فى عالم الغيب ... إنه لا يخرج عن كلام امير المؤمنين علىبن أبى طالب – كرم الله وجهه – حينما سئل: هل رايت ربك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام: افاعبد مالا ارى !! ، فقال :

---

(١) سورة النحل الآية: ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة من الآية : ١٥٣ .

(٣) انظر : تاريخ التصوف فى الإسلام : د / قاسم غنى / ٥١١ ، ٥١٢ .

وكيف تراه ؟ قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ،ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان ، قريب من الاشياء غير ملامس ، بعيد منها غير مباين ، متكلم لا بروية ، مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة ، لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء ، بصير لا يوصف بالحاسة ، رحيم لا يوصف بالرقة ، تعنو الوجوه لعظمته ، وتجب القلوب من خافته " (١) .

ونور اليقين حينما يقع فى قلب السالك ، يرى من خلاله ما يلقى فيه من نور الله – عز وجل – ، والعارف الواصل يكون كل سيره وحياته فى هذا النور ، وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (٢) .

وبديهى أن هذا النور لا يرى بعين الرأس ، بل يمكن مشاهدته بعين القلب ، والنور الذى يسطع بقلب العارف الواصل يوصله إلى المعرفة ، وبمنحه من العلم ما عبر عنه بفراسة المؤمن ... هذه الفراسة كان سبيلها العلم والبصيرة ، والعلم نور يقذفه الله – تعالى – فى قلب من أحبه من عباده .

ومن ثم كانت فراسة السالك المؤمن ترجمة واضحة لهذا النور الملقى فى القلب ، فعن أبى سعيد – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله (ﷺ) : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله – عز وجل –"(٣).

والحاصل أن السالك إذا ما صفت مرآة قلبه من صدأ المعاصى والأفكار الفاسدة ، يسطع عليها حينئذ نور اليقين ، وإذا حل نور اليقين

---

(١) نهج البلاغة : للسيد الشريف الرضى ١/٢٧٠ .

(٢) سورة الأنعام من الآية : ١٢٢ .

(٣) رواه البخارى فى التاريخ ، والترمذى وغيرهما (الجامع الصغير : السيوطى ١/٩)

فى القلب ، انتفت معه وساوس الشيطان ، فيرى السالك بنور الله – عز وجل – ما مكن فيه منه وبه ، وهذا ما حدث بين سيدنا عمر – رضى الله عنه – وسارية ، حينما ناداه قائلا : "يا سارية الجبل " ، وكان سارية بنهاوند من أرض فارس ، وعمر – رضى الله عنه – بالمدينة .

فالقلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الخلق وإدراكه ، وكان تلقيه من مشكاة قربه من الله ، بحسب قربه منه ، وأضاء له من النور بقدر قربه ، فرأى فى ذلك النور اللائح من الغيوب ، مالم يره العبد المحجوب ، وهذا ثابت فى الصحيح عن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى (ﷺ) فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال : " ما تقرب إلى عبدى بمثل اداء ما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها.... " (١) بذلك صار قلب السالك كالمراة الصافية ، تبدو فيها صورة الحقائق على ما هى عليه، فلا يكاد يخطئ له فراسته ، فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه ، وإذا سمع بالله ، سمعه على ما هو عليه ، وليس هذا من علم الغيب ، بل علام الغيوب قذف الحق فى قلب قريب منه مستنير بنوره غير مشغول بنفوس الأباطل ، والخيالات ، والوساوس التى تمنعه من حصول صور الحقائق فيه .

وإذا غلب على القلب النور الإلهى فاض على الأركان ، وبادر من القلب إلى العين ، فانكشف له الأمر بعين بصره بحسب ذلك النور، وقد كان رسول الله (ﷺ) يرى أصحابه فى الصلاة وهم خلفه كما يراهم أمامه ، ورأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ، ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو بالمدينة يحفر الخندق ... من هذا الطريق رأى سيدنا عمر – رضى الله عنه – سارية قائلا : يا سارية الجبل الجبل ...

---

(١) صحيح البخارى ك / الرقائق ب / التواضع ، فى الفتح ذكرت رواية (فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ٤٠٤/١١ رقم الحديث ٦٥٠٢)

وهذا عثمان بن عفان – رضى الله عنه – دخل عليه رجل من الصحابة، وقد رأى امرأة فى الطريق فتأمل منها ، فقال له عثمان بن عفان – رضى الله عنه – : يدخل علىّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه ، فقلت : أوحى بعد رسول الله (ﷺ) ؟ فقال : لا ، ولكن تبصر وبرهان وفراسة صادقة ...

فالفراسة طريق من طرق المشاهدة وحقيقتها : نور يقذفه الله فى القلب ، فيخطر له الشئ فيكون كما خطر له ، وينفذ إلى العين فيرى مالا يراه غيره (١).

٤ – حال الفناء والبقاء :

من أحوال السالكين إلى الله – تعالى – حال الفناء والبقاء ، وفى ذلك يقول **الإمام شهاب الدين السهروردى** – رضى الله عنه – : " **أقاويل الشيوخ فى الفناء والبقاء كثيرة ، فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات** ، وهذا ما تقتضيه التوبة النصوح . وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل ، وهذا ما تقتضيه تزكية النفس . وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق ، وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه ،ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الحق سبحانه وتعالى على العبد ، فيغلب كون الحق سبحانه على كون العبد " (٢) .

قال صاحب الرسالة : " أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة – أى ذهابها عن العبد ، وأشاروا بالبقاء إلى قيام الأوصاف المحمودة به ، وإذا كان العبد لا يخلو عن أحد هذين القسمين ، فمن المعلوم أنه إذا لم يكن أحد القسمين موجودا كان القسم الآخر موجوداً لا محالة ، فمن فنى عن أوصافه المذمومة كرغبته فى الدنيا ظهرت عليه

---

(١) انظر الكواكب الزاهرة : ابن مغيزيل / ١٦٣ – ١٦٦ .

(٢) عوارف المعارف هامش إحياء علوم الدين : الغزالى ٤/ ٤٤٤ – ٤٤٥ .

الصفات المحمودة كزهد فى الدنيا ، ومن غلبت عليه الخصال المذمومة استترت عنه الصفات المحمودة "(١) .

يقول شيخ الجبل فى وقته إبراهيم بن شيبان : " من زهد فى دنياه بقلبه يقال : فنى عن رغبته فيها ، فإذا فنى عن رغبته فيها بقى بصدق إنابته ... ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس ، يقال : فنى عن سوء الخلق ، فإذا فنى عن سوء الخلق ، بقى بالفتوة والصدق .

ومن شاهد جريان القدرة فى تصاريف الأحكام من السعادة والضلالة والطاعة والعصيان ، يقال : فنى عن حسبان الحدثان – أى عن الحدوث من الخلق - ، فإذا فنى عن توهم كون الآثار من الأغيار – أى الإكساب من العبد – لما غلب على قلبه من انفراد (الحق) بإيجادها ، بقى بصفات (الحق) تعالى نظر إلى قدرته تعالى وإراداته وعلمه .

ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا ، يقال : إنه فنى عن الخلق وبقى بالحق "(٢).

يقول الإمام السهروردى – رضى الله عنه - : " ويكون من أقسام الفناء أن يكون فى كل فعل وقول مرجعه إلى الله – تعالى- ، وينتظر الإذن فى كليات أموره ، ليكون فى الأشياء بالله سبحانه لا بنفسه ، فتارك الاختيار منتظرا لفعل الحق فان ، وصاحب الانتظار لإذن الحق فى كليات امور راجعا إلى الله تعالى بباطنه فى جريانها فان ، ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه فى التصرف يختار كيف شاء وأراد ، لا منتظرا للفعل ولا منتظرا للإذن ، هو باق ، والباقى فى مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ، ولا الخلق عن الحق . والفانى محجوب بالحق عن الخلق ، والفناء الظاهر لأرباب

(١) أعذب المسالك المحمودية : السبكى ٢٣٣/٣ .

(٢) المصدر السابق ٢٣٤/٣ .

القلوب والأحوال ، والفناء الباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال ، وصار بالله عز وجل لا بالأحوال ، وخرج من القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه" (١) .

وليس من ضرورة الفناء أن يغيب العبد عن إحساسه ، وقد يتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص ، وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق .

ومما يروى من روايات أهل الفناء ما ذكر عن عروة بن الزبير – رضى الله تعالى عنهما – أنه قطعت رجله وهو فى الصلاة ولم يحس بذلك، وكان قطعها بسبب أكلة حدثت فيها ، فقال الحكماء : إن لم تقطع رجله مات منها ، فقالت أمه – رضى الله عنها – دعوه حتى يدخل فى الصلاة ثم اقطعوها ، ففعلوا به ذلك ، ولم يشعر لقوة استغراقه فى الله تعالى وفنائه بالكلية " (٢) .

من هذا يتبين أن الفناء الذى ضده البقاء، قد أطلق على معان مختلفة حسب أطوار السالك وهى ما يلى :

• الفناء عن الشهوة : ويعنى بها سقوط الأوصاف المذمومة ... فإذا أخذ العبد فى مجاهدة نفسه نفى سفساف أخلاقها ، ومواظبته على تزكية أعمالها ... هنا الذى يقال له الفانى عن شهوته ، وذلك لأنه ترك مذموم الأفعال بجوارحه، امتثالا لأمر الشريعة ، إلا أن قلبه بعد ينازعه إليها ، لكونه لم يستقم بعد على الطريقة لتصفو أخلاقه الباطنة .

• فناء الراغب : هو الذى يفنى عن شهوته بجوارحه ، ويزيد مع ذلك فيها بقلبه لتحققه بالاستقامة على أحكام الطريقة .

---

(١) عوارف المعارف : هامش إحياء علوم الدين ٤/٤٤٨ ، ٤٤٩ .

(٢) نشر المحاسن الغالية : اليافعى / ٢١٠ .

* الفانى برغبته : هو الذى فنى عن شهوته بجوارحه وقلبه ، وصارت عنده فى حكم المعدوم كأن لم يكن ، حيث بقى فيما هو أكبر وأهم وأبقى .

* فناء المتحقق بالحق : وهو الذى اشتغل بالحق عن الخلق ، ومثل هذا لا يعد راغبا عن شئ إلى شئ لأن الحق لا يسع معه سواه... وقد سمى هذا السالك بالفانى بالحق عما سواه .

* فناء أهل الوجد (١) : وهو من فنى بالحق ، وسمى فناؤه بفناء الوجد ، لكون الوجد هو سبب فنائه ... وهو الذى تكون نفسه موجودة، والخلق موجودين ، إلا أنه لا علم له بهم ، ولا نفسه ، ولا إحساس ، ولا خبر ، ويكون ذلك لاستهلاكه فى حضرات القرب ، ومثاله : من دخل على ذى سلطان عظيم ، فأذهله عن نفسه وعن أهل مجلسه ، وكثيرا ما يقع هذا ، قال تعالى : ﴿ فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن ﴾ (٢) ... فإذا كان هذا هو حال صورة مقيدة... فإنه ولا غرو من استولى عليه سلطان الحقيقة لم يتسع معها أن يشهد من الأغيار لا عينا ، ولا أثرا ، ولا وسما ، ولا ظلا ، وهذا هو الذى فنى عن الخلق ببقائه بالحق ، فيرى كل ما سوى الله بالله لا بغيره .

* فناء صاحب الوجود : هو أيضا فناء من فنى بالحق ، لكنه لا يرى للخلق وجودا ، إنما يرى الوجود الحق لله وحده ، وهو أول مراتب الفناء ... إذ لا وجود لغير الله .

---

(١) الوجد : بمعنى الوجدان للشئ ، والوجود له ، ويتفاوت معناها .. والمراد بذلك ملاقاة الشئ معنى وصورة ، والوجد ثمرة الواردات التى هى ثمرة الأوراد ، فمن ازدادت وظائفه ازدادت من الله لطائفه ، ومن لا ورد له بظاهره ، فلا وجد له فى باطنه ، وليس له وجدان فى سرائره (انظر : لطائف الإعلام ٢/ ٣٨١) .

(٢) سورة يوسف من الآية : ٣١ .

* فناء رؤية العبد لفعله : هذا الفناء يعنى عدم رؤية السالك فعله ، لقيام الله على ذلك ، ثم يرتقى منه إلى فناء رؤيته لذاته لقيام الله عليها ، وهذا نهاية سير السالكين المقربين إلى الله – تعالى – فى منزلة الفناء الذى يعنى الوصول إلى إزالة قيد التقييد بحكم شئ من التجليات الظاهرية والباطنية ، ومن ثم يبقى السالك بالله ظاهرا وباطنا "(١) .

والبقاء شأنه جليل ... ذلك أن رؤية الخلق دون (الحق) نقص وحجاب ، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ، ورؤية (الحق) دون الخلق أمر شاق على النفوس عسير ، إلا من أعانه الله على نفسه ، وأهّلَهُ لذلك ، فكان بالله على نفسه ، ورؤية (الحق) والخلق هى حكمة الوجود الإنسانى ... والذى من شأنه التسليم ، حيث يكون الاصطفاء والتأهيل ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٢) .

هذا وبالله التوفيق

(١) انظر : لطائف الإعلام : القاشانى ٢/ ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) سورة لقمان الآية: ٢٢ .

أهم المراجع

أولا : القرآن الكريم .

١- الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية – للمحدث زين الدين عبد الرؤف المناوى – طبع دار المعرفة – بيروت .

٢- إحياء علوم الدين : للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى – طبع مصطفى البابى الحلبى – القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

٣- أعذب المسالك المحمودية – للأستاذ الشيخ / محمود محمد خطاب السبكى – تحقيق سعيد عبد الفتاح – طبع مطابع الأهرام التجارية – مصر – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .

٤- تاريخ التصوف فى الإسلام : د / قاسم غنى – طبع مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٢م .

٥- التعريفات : للإمام الجرجانى : القاهرة ١٣٨٣هـ .

٦- الجامع الصغير : للإمام السيوطى – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٧- الجامع الكبير : للإمام السيوطى – طبع مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة – الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م .

٨- صحيح البخارى – طبع دار الشعب – القاهرة .

٩- صحيح مسلم – طبع مؤسسة دار التحرير للطباعة والنشر – القاهرة .

١٠- عوارف المعارف : للإمام السهروردى – على هامش كتاب إحياء علوم الدين – للإمام الغزالى – طبع مصطفى الحلبى ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

١١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلانى – طبع دار الغد العربى – القاهرة .

١٢- قوت القلوب : لأبى طالب المكى – طبع دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

١٣- قوانين حكم الإشراق : للشيخ / جمال الدين محمد أبى المواهب – ضبط وتصحيح محمد شحاته ابراهيم – طبع المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

١٤- الكواكب الزاهرة : لأبى الفضل عبد القادر بن الحسينى (الشهير بابن مغيزيل) تحقيق : د / محمد سيد سلطان ، د / على عبد الحميد عيسى – طبع دار جوامع الكلم – القاهرة ١٩٩٩ م .

١٥- لسان العرب : لابن منظور – طبع دار المعارف – القاهرة .

١٦- لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإفهام – عبد الرزاق القاشانى – تحقيق سعيد عبد الفتاح – طبع دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٩٦ .

١٧- لطائف المنن : لابن عطاء الله السكندرى – تحقيق : د / عبد الحليم محمود – طبع دار المعارف – القاهرة .

١٨- اللمع : لأبى نصر السراج الطوسى – تحقيق : د / عبد الحليم محمود ، طه عبد الباقى سرور – القاهرة ١٩٦٠ م .

١٩- مدارج السالكين : لابن قيم الجوزية – طبع مكتبة الإيمان – المنصورة .

٢٠- المعجم الوجيز – بمجمع اللغة العربية – القاهرة – الطبعة الثانية .

٢١- المعجم الوسيط – بمجمع اللغة العربية – القاهرة – الطبعة الثالثة .

٢٢- منازل السائرين إلى الحق عز وجل – للإمام الهروى – طبع مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية .

٢٣- نشر المحاسن الغالية (الملقب كفاية المعتقد ونكاية المنتقد) لأبى محمد عبد الله بن أسعد اليافعى تحقيق : ابراهيم عطوة عوض – طبع مصطفى البابى الحلبى – القاهرة –الطبعة الثانية .

٢٤- النصوص فى مصطلحات التصوف – محمد غازى عرابى – طبع دار قتيبة – دمشق ١٩٨٥ م .